

يرمي البذور خلفه ولا يلتفت ليعرف إن كانت ستتمو وتكاثر أم لا. حياته هي منبع الكتابة ومصيها: طفولته القاسية، هجرته أو هجراته، من لبنان إلى فرنسا واليونان وغيرها وصولاً إلى استراليا، رؤيته للعالم، الرؤية القلقة والمتوترة. اخترنا في هذا اللقاء أن نعود مع وديع سعادة إلى اللحظات الأولى للكتابة، إلى التصادم الأول مع العالم، لتتبع معه مسار حياته، ونقف عند المشرق والمغرب، المبهج والمؤلم، عند الأرباح والخسارات في هذه الحياة.

حوار وتقديم عبد الرحيم الخصار

فحسب، بل لاحتضانه والاشتباك معه. لم ينصف النقاد شعر وديع سعادة. ربما لأنهم يبحثون عن التناص والبلاغات المتداولة والمستويات الإيقاعية والدلالية، وعما يخدم المقاربات الإحصائية والأسلوبية وما إلى ذلك، وهذه أشياء غير موجودة في شعره. أو على الأقل لت يجدها الناقد على الشاكلة التي ستخدم منهجه النقدي. شعر وديع سعادة يتدفق مثل نهر، كيف سيصف الناقد نهراً؟ ثم هل سيصفه أفضل من الشاعر؟ شاعر زاهد يلقي قصيدة عبر الأنترنت ثم يعود لحياته، قصيدة قد تجد قراء أو مشاهدين قلائك جداً، وهذا لا يعنيه في شيء، فهو يشبه من يسير في طريق طويلاً

«شاعر الغياب»

قصائد غير منشورة

ريش في الريح

لا تطأ على ظل
إنه نظرة نائمة.

لا تأخذُ غصناً إلى موقد
إنه يد شجرة.

التقط الورقة وأعدها إلى الغصن
إنها عين الشجرة.

النجوم نظرات
انظرْ نصيرُ نجمة.

كُلُّ هذه الرياح
ليست سوى
أهات بشر.

للطريق التي لا تتوقف عن المشي
بيت أيضاً
ولا تعرف كيف تفتح الباب.

فقط لو عرفوا
أن دمة واحدة تكفي
لغسل كل الأرض.

... وللطريق رنة أيضاً
امش عليها خفيفاً
لئلا تخنق.

الذين يصرخون هناك
أفواههم هنا.

قال لا تقترّب من الماء
وغرق.

الغصون التي تهزّها الريح لا
تكون ترتجف
بل هي تلوح
للغصون الأخرى.

مهما كان هذا الحمل ثقیلاً
يمكنك أيضاً أن تكون
نسمة.

الأرض عمياء
اعطيها عيناً كي تراك.

الذين قلّت لهم وداعاً هناك
سبقوني إلى هنا.

لا تطأ على نملة
هل نسيت كم لعبت معها حين
كنت طفلاً؟

لا تنظرْ إلى الفضاء كي ترى قمراً
ثمة قمرٌ آخر على الأرض:
عينك.

أخفض رأسك قليلاً
إن أردت أن ترى الأرض.

للدم لسان
كُل نقطة منه وهي تسقط تقول:
البشرية كلها سقطت.

لو خشية
خَمَل حياته مثل لعبة معطلة

أراد أن يعيدها إلى الحانوتي
ووقف العمر كله
أمام حانوت مقفل.

تكلّمْتُ كثيراً
لكن الصمت كان كنزي الوحيد.

للأحلام قنّاصون
لا تحلم
تَنج.

تبقى وحيداً
ولو بين جمهور.

أيها الناظرون إلى السماء
انظروا جيداً تروها خاوية.

الذين بلا أقدام
حين تنظر إليهم بحبّ
يصيرون بأجنحة.

نقطة دم واحدة تُهدر من عصفور
تُظلم كل السماء.

كم كانت الأرض جميلة
لو أنّ كائناتها تفتتت فقط من
الهواء.

قال: بلى، ثمة ماءٌ بعد في قعر
البئر
ومات عطشاناً.

كان حافياً
والطريق كلها مرسومة على لحم
قديمه.

لا أخال الأرض محمولة إلا بكثافة
الأهات.

هل رأيتم سحلية في مكان ما؟
إنها شقيقتي وقد أضعتها حين
كنا نلعب في الغابة.

أقدامُ أقدامِ أقدام
وظل على الرصيف
يحاول أن ينام .

ثلوج ثلوج ثلوج
أظنّها دموعاً قد تجمّدت.

الطريق أيضاً
تسأل عن الطريق.

لا تحلم بمحطة
مهما ركبت قطارات
تبقى في مكانك.

ناديتها كثيراً
ولم تات
الحياة.

في البحر قشّة؟
لا تتشبّث بها
لو خشية
ستغرق.

من تراه نبئت شجرة
تشبهه حين كان فتى.

من تراه نبئت زهرة
تشبه عينه المغمضة.

أرى عيوناً كثيرة
في الأنهار.

حين تنزل دمة في النهر
تأخذ عينها معها.

ارم السماء
وَضِعِ الأرض في قلبك.

الطير الذي حط على رأسك ذات يوم
لم يكن يريد سماء بل رفيقاً.

كم هي صبورة
الطريق التي مشت وحدها كل
هذه الأيام!

يا أصدقائي البعدين
العصافير التي تأتي إلى شجرة
أمام بيتي وتنتظر ليّ
في عيونها شيء من نظراتكم .

هناك هو هناك
ولكن أين هنا؟

أسمع أصواتاً
في العشب أيضاً.

تكلّم كثيراً
لكن الوحيد الذي رافقه طوال
الطريق كان الصمت .

أريد أن لعب
أمعقول أن أجوب كل هذه المدن
وأبحث طوال العمر
ولا أجد لعبة؟!

ملئت من انتظارك
يا رفيقي القديم يا شبيهي يا
وديّع أين ذهب؟

حتى الصخر يصرخ
والنسيم ينجرح
من ريشة.

فقط لو الهواء يعيد ليّ
الكلمة الأولى التي قلتها
للريح.

مشى صامتاً
لئلا يُثقل عبوزه
الصوت.

لم يقل وداعاً
فقط
رفع قليلاً إصبعه.

كنت تسجل فيديوهات قصيرة وأنت
تقرأ نصوصك وتنشرها على يوتيوب، ثم
توقفت عن ذلك. ما السبب؟

قراءة بعض قصائدي على يوتيوب
ليس أكثر من تسلية وتمرير
للوّقت. لا أجد الأمر مهماً إلى درجة
«المواظبة» عليه، وليس من سبب
للتوقف ولا من سبب للاستمرار. قد
أعود وأسجل قصائد أخرى وقد لا
أسجل، ليس الأمر مهماً.

كانت أعمالك الشعرية قد تعرضت للمنع
في الكويت قبل سنوات قليلة. كيف تنظر
إلى مسألة حظر تداول الشعر؟ هل تخاف
مؤسسة الدولة من تأثير الشاعر على
رعاياها؟

منع تداول الشعر هو عمل
سخيف ومتخلف ولا يستدعي
سوى القهقهة، إذ أنه، أولاً، رعاية
مجانية للشعر الممنوع، ثم بوجود
التكنولوجيا الحديثة ومواقع
التواصل، فإن هذا الشعر يصل إلى
أبعد ما تتصوره مؤسسات الدولة
المانعة. لا شك في أن الدولة التي

تمنع تداول الشعر تخاف من الحرية
لأن الحرية تقوّض مؤسساتها
القائمة على القمع. لكن لا أعتقد أن
الشعر لديه قوّة التقويض هذه. في
أي حال، حين تمنع أعمال الشاعر
كل ما أفعله أنني أضحك عالياً.

حضورك في الملتقيات والمعارض
والتظاهرات الثقافية في العالم العربي
يبدو قليلاً قياساً إلى مكانتك الشعرية.

هل هذا عائد إلى البعد الجغرافي؟ أم إلى
زهّد وتحفظ من الشاعر؟ أم أن ثمة أسباباً
أخرى؟

لا أسعى إلى تظاهرات ثقافية
ومهرجانات وجوائز. أكتفي بكتابة
الشعر وأنا في الظل. هكذا في الظل
أراقب نفسي بعين مجردة.

تجربتك مع غسان علم الدين ومارسيل
خليفة وعبير نعمة نقلت قصيدة النثر إلى
الغناء، أليس ذلك مجازفة؟

نقل قصيدة النثر إلى الغناء هو
مجازفة للفنان، وفي الوقت نفسه
هو تميّز لهذا الفنان لتجاوزه نمط
تلحين القصائد الكلاسيكية. أما
بالنسبة إلى الشاعر، فأنا أرى أن
تلحين قصائده وغنائها يضيفان
إليها أبعاداً جديدة.

هل أنت مطمئن على مستقبل قصيدة
النثر في العالم العربي؟ وهل ترى أن ثمة
إمكانية لظهور أشكال شعرية أخرى أكثر
تطوراً في المستقبل؟

أنا أفضل تسمية «النص الشعري
الحديث» على تسمية «قصيدة
النثر»، لأن هذا النص كسر الحواجز
بين الأنماط الأدبية من شعر وقصة
وفلسفة وسينوغرافيا وما إلى ذلك،
وباتت هذه الأنماط محمولة في نص
واحد. ثم هو نص حديث بمعنى
الحدائث كشكل ومضمون ومفهوم
معاً.

أنا أرى حاضر هذا النص في
العالم العربي، ولا يمكنني التكهن
بمستقبله، لكن الشعر ليس عملاً
جامداً بل هو متحرك ومفتوح دائماً
على أشكال شعرية مغايرة.

أو الله أو بوذا أو الشيطان. ولا تكن
حتى أنت! وابصق على المثقف الغبي
الذي يحاضر عن «معرفة النفس»
والبحث عن الله وباقي الخرق
الثقافية الأخرى. هل فكرت لحظة بأن
من المضحك أن «نكون» شيئاً؟ إننا لا
نكون شيئاً أو أحداً. لأننا هذا الشيء
وهذا الأحد. ولأننا كل شيء وكل
أحد، من قبل. أعتقد أنك ستفهمني يا
وديّع لأنني أعرف أن لك عقلية نظيفة

وأن دماغك لم «يُغسل» بعد بالرايات
الثقافية الشائعة هناك الآن». ما
مناسبة هذا الكلام؟ ما سياقه؟

أعتقد أن سركون بولص هاجر كي
ينعتق من الواقع العربي، ثقافة
ومفاهيم وتقاليده وما إلى ذلك، ليس
فقط من الواقع العربي، إنما من
الموروث الثقافي عموماً وأينما كان.
كنا صديقين في العمق وكنت مثله
أصبو إلى هذا الإنعتاق، وهذا كان،
باختصار، السياق العام لما كتبه لي
في هذه الرسالة.

«وإن أردت رفيقاً، فأني رفيق أعز من
وحدتك». هذا ما تقوله في كتابك «قل
للعابر أن يعود نسي هنا ظله». وتقول في
«سبب غيمة على الأرجح»: «هؤلاء الذين
اعتقدت أنهم يجوبوني لم يفعلوا شيئاً من
أجلي». أسألك هنا عن صداقات الشاعر.

لدي صداقات عديدة، لكن، في الوقت
نفسه، أعتقد أن الإنسان يبقى في
العمق وحيداً ولو بين جمهور.

ما سبب هذا القلق الذي يغلف قصائدك
ويبطئها؟

وهل ما يجري على هذه الأرض
يجلب غير القلق؟ هل الإنسان ذاته
سوى كتلة من القلق؟

يחס من يتابعك عبر الفايبيوك أن
ثمة روحاً دمية تحلق في هذا الفضاء
الازرق. هناك ياس وإحباط في الكثير من
تدويناتك. لإم مرّد ذلك؟
نعم أنا محبب ويائس من إمكان
تغيير هذا العالم.

هل قدر الشاعر هو أن يواجه العالم
باستمرار بدلاً من المصالحة والانخراط
فيه؟

لا يمكن الشاعر أن يتصالح مع
عالم يسوده القتل والبغض والظلم
والعذاب والأناثية والعنصرية وما
إلى ذلك. نعم، قدره فقط هو المواجهة.

«لا ينتحر غير من طفق بالحياة. من
طفحت فيه الحياة فاندلقت». كيف تنظر
إلى مسألة الانتحار؟

الانتحار هو الإدانة الكبرى للحياة
الظالمة، القاسية، الخاوية، الأليمة...
وللناس الذين سبّجوا هذا الظلم
والقسوة والخواء والألم...

قبل سنتين أعلنت أنك منقطع عن
الكتابة. ما الذي يجعل الشاعر يفكر في
التوقف عن الكتابة؟
اللاجدوى.

ماذا بعد مرور هاتين السنتين؟ هل
كنت؟ وهل تكتب الآن؟
لا.

الأول؟ الألم الأول؟ الدمشة الأولى؟ الفقدان
الأول؟ ما الشيء الأول الذي سحبك إلى
منزل الكتابة؟

- لا أعرف ما هو الشيء الأول الذي
قادني إلى الشعر. لكن بالتأكيد، كل
ذلك الذي ذكرته كان مصدراً لشعري،
إضافة إلى تجارب وأمور كثيرة
غائصة في العمق إلى غور لا يمكن
رؤيته والحديث عنه.

من أين تأتي قصيدة وديع سعادة؟
أبحث عن منابع الكتابة.

تأتي من منبع واحد: الإنسان.
الإنسان بلألمه وأشواقه ومعاناته
وإحباطاته ورجائه وكل ما ظهر أو
انستر فيه.

كتب لك سركون بولص في ربيع
1972 رسالة من سان فرانسيسكو
يقول فيها: «أخرج من هذه الطبقة
الكثيفة من الجلد التي بنيت حولك
دون أن تعرف. أخرج. لا تكن مثقفاً
يجمع أقتعة ويقرأ المشهورين،
ويفكر بنماذج كائسي الحاج أو
لست أعرف من، أو كامو أو بولدير

